الاهداف التنموية لاستصلاح الاراضي في العراق – دراسة لمشاريع الشحيمية والدلمج والثريمة-

أ.د. رضا عبد الجبار سلمان الشمري
جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم الجغرافية

المقدمة :

يسعى الإنسان دائماً الى معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهه وبمختلف الطرق . ومن بين أهم المشاكل التي تواجه سكان الوطن العربي ومنهم سكان العراق مشكلة العجز الغذائي الناتجة من انخفاض وتدهور الإنتاج الزراعي بسبب مشاكل الإنتاج الزراعي التي من أبرزها ارتفاع معدلات الملوحة في التربة بشكل كبير جداً إلى درجة أدت الى تعذر زراعة بعض المحاصيل الزراعية أو انخفاض إنتاجيتها بشكل كبير جداً الامر الذي انعكس على انخفاض الإنتاج الزراعي لاسيما المنتجات الغذائية الستراتيجية كالحبوب بمختلف أنواعها .هذا الامر دفع إلى استصلاح الأراضي* من أجل رفع إنتاجيتها ومعالجة مشاكلها وخاصة الملوحة.

أسباب اختيار موضوع البحث:

من بين أهم الاسباب التي دفعت الى كتابة هذا البحث الظروف السياسية والاقتصادية التي جعلت من الغذاء سلاح سياسي وعبئ اقتصادي كبير على الدولة ، الامر الذي يتطلب زيادة الإنتاج الزراعي بمختلف الطرق التي تعتمد على الأسس العلمية . ولعل الاهتمام والتوسع بمشاريع استصلاح الأراضي ، يعد من أهم الطرق لتطوير وزيادة الإنتاج الزراعي في العراق وذلك لأن أكثر من 73% من أراضيه الزراعية في الوسط والجنوب تعاني من مشكلة ملوحة التربة[1] .

أهداف البحث :

يهدف البحث الى ابراز الابعاد التنموية لاستصلاح وكذلك الكشف عن ماتم تحقيقه من الاهداف الاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية التي توختها عمليات استصلاح الاراضي ،وذلك من خلال دراسة وتحليل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبعض المناطق التي اجريت فيها عمليات الاستصلاح .كما ان البحث سوف يركز على ابراز الاهمية الاقتصادية لاستصلاح الاراضي لاهمية هذا الجانب في المرحلة الحالية التي يمر بها العراق وهي صعوبة الحصول على الغذاء ولابراز اهمية الاستصلاح في زيادة غلة الدونم ودوره في تحقيق الأمن الغذائي الذي نحن بامس الحاجة اليه .

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث بتدهور خصوبة التربة في معظم مناطق وسط وجنوب العراق بسبب التملح والتغدق (تغدق التربة بالمياه) وكذلك بسبب زحف الرمال في بعض المناطق .الأمر الذي أدى إلى انخفاض إنتاجية الأرض وتردي اوضاع سكان الريف في هذه المناطق ، مما يتطلب أجراء عمليات استصلاح متكاملة تنقذ هذه المناطق وتحسن أوضاعها المعاشية وتشجعها على الاستقرار .

فرضية البحث :

تنطلق فرضية البحث من ان لعمليات استصلاح الاراضي نتائج كبيرة ومهمة جدا من شانها ان تحدث عملية تنمية شاملة تؤدي الى تطوير الريف وحل كثيرا من مشاكله ،فضلا عن توفير الغذاء .كما ان تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية المرجوة من الاستصلاح ، تجعل الريف مناطق استقطاب سكانية ،الامر الذي يخفف الضغط عن المدن ويقلل النزوح اليها .كما ان هذه الاهداف تشكل كلاً متكاملا فالتركيز على واحدة واهمال اخرى ،ينعكس سلبيا على الانتاج الزراعي وعلى الريف ايضا .

منطقة الدراسة :

ان عموم اراضي وسط وجنوب العراق هي مسرح لهذه الدراسة وذلك لانهما اكثر مناطق العراق معاناة من مشكلة الملوحة في التربة ولتماثل الظروف الطبيعية والبشرية التي ادت الى ظهور مشكلة ملوحة التربة فيهما .قام الباحث باختيار ثلاث مناطق من وسط وجنوب العراق ،اجريت عليها الدراسة وهي :منطقة مشروع الشحيمية الكائن في محافظة واسط .ويقع هذا المشروع بمسافة (٦٠ –

(*)استصلاح الأراضي :هو عمليات انشاء شبكات الري والبزل وغسل التربة بغية التخلص من الاملاح الموجودة فيها .

- عبدالوهاب مطر الداهري واخرون ،تجارب استصلاح الاراضي في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ،الكويت ١٩٨٤ ، ص ١٢.

([1]) فاضل علي هلال ، مكافحة التصحر في العراق . مشاكل التصحر والمعالجات ، الندوة العلمية حول مكافحة التصحر في العراق ،وزارة الري و وزارة الزراعة ،حزيران، ١٩٩٦ ، ص٤ .

١٠٠ كم) جنوب بغداد –راجع خريطة (١) ومشروع الدلمج الواقع شمال غرب مدينة الكوت (خريطة ١) ثم مشروع الثريمة في محافظة القادسية ،والواقع جنوب شرق مدينة الديوانية –(خريطة ١).

منهجية البحث :

اعتمد في كتابة هذا البحث اسلوب التحليل والمقارنة بين الاوضاع الطبيعية والبشرية في الاراضي المستصلحة قبل الاستصلاح وبعده .ولقد اعتمد الباحث على الدراسة الميدانية وذلك بزيارة المناطق المشمولة بالدراسة وتحقيق مقابلات شخصية مع المسؤولين فيها وبالاعتماد على البيانات المنشورة وغير المنشورة في المشاريع والدوائر الزراعية للمناطق المشمولة بالبحث .

ويتضمن البحث مقدمة شاملة ومبحثين .تناول الاول تعريف الاستصلاح ومراحله واثر عمليات الاستصلاح على التربة . بينما تناول المبحث الثاني ،الاهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية لاستصلاح الاراضي ،وتضمن البحث على الاستنتاجات والتوصيات .

خريطة – ١- الموقع الجغرافي للمناطق المشمولة بالبحث

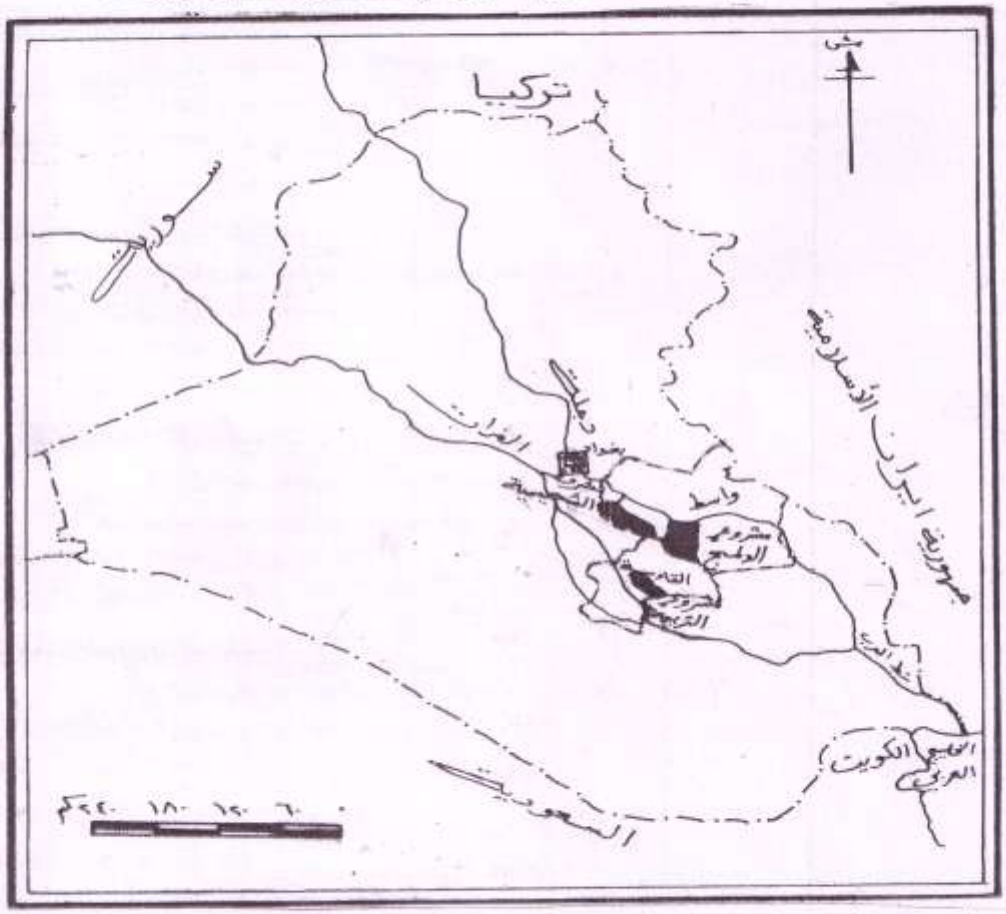

المصدر : الباحث بالاعتماد على خريطة العراق الإدارية لعام ١٩٩٢

المبحث الأول

مراحل استصلاح الأراضي (Land Reclamation)

هناك تعاريف مختلفة لمفهوم استصلاح الاراضي فهي تختلف من قطر الى اخر وتختلف بحسب الحالة الطبيعية والكيميائية للتربة ومدى تدهور خصوبتها ،ولاي الاسباب تدهورت هذه الخصوبة لان هذه الاسباب هي التي تحدد نوع الاستصلاح ومراحله .

ففي بعض الدول يعد احياء الارض المتروكة ((البور))الخالية من الاملاح عن طريق ايصال الماء اليها استصلاحا ،ويعد تصريف المياه الزائدة من التربة استصلاحا .وازالة القلوية وحفر الابار وتوفير مياه السقي وتعديل الإراضي وتسويتها استصلاحا وايقاف التصحر ،وقطع اخشاب الغابات وتعديل وتسوية اراضيها لجعلها صالحة للزراعة استصلاحاً [١] ويعرف بانه الاعمال والنشاطات الحقلية للتربة او الظروف المحيطة بها كافة والتي من شانها ان تعمل على تحويل الارض المتاثرة سلبيا باحد عوامل انتاجها الى ارض ذات قدرة انتاجية عالية من الناحية الاقتصادية [٢] ولكن المفهوم العراقي لايزال هو السائد ،وهو عمليات انشاء شبكات الري والبزل وغسل التربة بغية التخلص من الاملاح الموجودة فيها[٣].

وهذا هو المفهوم السائد والذي اعتمد في هذه الدراسة لان كل ما شانه توفير بيئة صالحة لنمو المحاصيل الزراعية المختلفة في التربة ويرفع من انتاجيتها ،هو استصلاحا وينبغي ان لا يكون الاستصلاح مفهوما فنيا واقتصاديا بحتا فقط بل ينبغي تهيئة الظروف المناسبة للانتاج كافة ،من الارض الى الماء وعمليات الاستيطان والعمران في مشاريع الاستصلاح وجعل الانسان غاية ووسيلة لاستصلاح الاراضي باعتباره هو الذي سوف يتفاعل مع عملياته وادواته كافة . وهو الذي سوف يستخدم الترب المستصلحة وعملية الزراعة والمحافظة على المنشات الاستصلاح من القنوات والجسور والمعابر والمضخات ،واستخدام الترب وتطبيق الدورات الزراعية تقع على مسؤولية هذا الفلاح الذي يستخدم الاراضي المستصلحة .لذا ينبغي اعداده وتثقيفه وتعليمه اسس الزراعة الحديثة لانها سوف تحافظ على الارض المستصلحة وتطيل من عمر صلاحيتها للزراعة .

مراحل استصلاح الأراضي :

تمر عمليات استصلاح الأراضي بمراحل مختلفة وتحتاج هذه العمليات الى خبرة فنية وادارية متخصصة كبيرة جدا في مجالات علمية اهمها (الهندسة ،الجيولوجيا ،الزراعة ،التربة ،الصناعة ،الاقتصاد ،الادارة ،الجغرافية ،والاجتماع)حيث ان معرفة الظروف الطبيعية والبشرية للمناطق المراد استصلاحها امر مهم كالظروف المناخية خواص التربة وانحدار السطح والموارد المائية وامكانية استثمارها فضلا عن معرفة الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة من اجل تحديد متطلبات التنمية الريفية المتكاملة للمحافظة على المناطق المستصلحة ،وذلك من خلال تطبيق الدورات الزراعية او من خلال ادامة شبكات الري والبزل .ويمكن أيجاز عمليات استصلاح الأراضي بالمراحل آلاتية[٤] .

المراحل الاولى :- وهي مرحلة المسح والدراسة والبحث لمختلف الجوانب الجيولوجية والهايدرولوجية ومسح التربة وطبوغرافية الارض فضلا عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمشروع او المنطقة المطلوب استصلاحها.

المرحلة الثانية : مرحلة التخطيط والتصميم في هذه المرحلة يتم وضع الخرائط والتصاميم التفصيلية لشبكات الري والبزل .

المرحلة الثالثة :مرحلة تنفيذ المشاريع .وتعد هذه المرحلة من اهم الحلقات الفنية في عمليات الاستصلاح حيث تبدا المباشرة بتنفيذ شبكات الري والبزل ثم انشاء الطرق والجسور والعبارات ومحطات الضخ لربط مناطق الاستصلاح ،كما يتم في هذه المرحلة مد قناة ري رئيسية تفي بمتطلبات المشروع الاروائية في ضوء ماحددته الدراسات والبحوث الاولية من الاحتياجات المائية للمزروعات والسكان ثم شق مبزل رئيسي في المنطقة للتخلص من المياه الزائدة . ثم انشاء قنوات الري الفرعية والمزروعة ومن ثم انشاء المبازل الثانوية والحقلية –شكل (١) – فضلا عن نصب محطات الضخ للري والبزل لرفع المياه من القنوات الرئيسة الى الفرعية وتنصب عادة في المناطق المرتفعة ،اما المضخات التي تنصب لسحب مياه البزل من المبازل الثانوية الى الرئيسة فتنصب في المناطق المنخفضة .

المرحلة الرابعة : مرحلة التعمير والاسكان والخدمات ،حيث يتم في هذه المرحلة المباشرة بانشاء المدن الصغيرة والقرى ومباني الخدمات المختلفة (كالمدارس والمراكز الصحية والكهرباء والماء الصالح للشرب).

المرحلة الخامسة : وهي اخر المراحل الفنية المهمة في عملية الاستصلاح حيث تسبقها عملية تعديل الارض وتسويتها وهذه المرحلة هي عملية غسل التربة ومن ثم عملية الاستزراع وهي على مراحل حيث يتم زراعة المحاصيل التي تحسن التربة ومن ثم زراعة المحاصيل المختلفة .

واخيرا تجري عملية توزيع الاراضي على الجهات المتفق معها .وهنا ينبغي الاشارة الى ان عمليات الاستصلاح عمليات صعبة تحتاج الى جهود كبيرة جدا ينبغي تظافرها وعادة ماتبرز مشاكل معقدة ومتداخلة تعرقل وتاخر عمليات الاستصلاح لذا لابد من تشخيص هذه المشاكل لتخطيها ووضع الحلول المناسبة لها لكي لاتتاخر عمليات الاستصلاح وخاصة في هذه المرحلة التي نحتاج فيها للزمن والمال والجهود .ومن ابرز هذه المشاكل التي يحتمل ان تواجه عمليات الاستصلاح هي[٥] :

---

[١]) د.عبد الوهاب مطر الداهري واخرون :مصدر سابق :ص١٢

[٢]) د.بدر جاسم علاوي ود.خالد بدر حمادي :استصلاح الاراضي ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي :جامعة الموصل ، ١٩٨٧ ،ص١١

[٣]) د.عبد الوهاب مطر الداهري واخرون :مصدر سابق ،ص١٢

[٤]) د. عبد الوهاب مطر الداهري واخرون :مصدر سابق ،ص ١٧ –١٩.

[٥]) الدراسة الميدانية :مقابلات شخصية مع عدد من الفنيين والاداريين في المشاريع المشمولة بالمسح الميداني .

١- مشاكل فنية :تتعلق بارتفاع مناسيب المياه الجوفية وتركز الملوحة بشكل كبير وكذلك صعوبة الاستزراع بسبب عدم ملائمة المناخ لبعض المحاصيل التي تحسن من خصوبة التربة .

شكل – ١- مخطط يوضح نظام الري والبزل في الأراضي المستصلحة

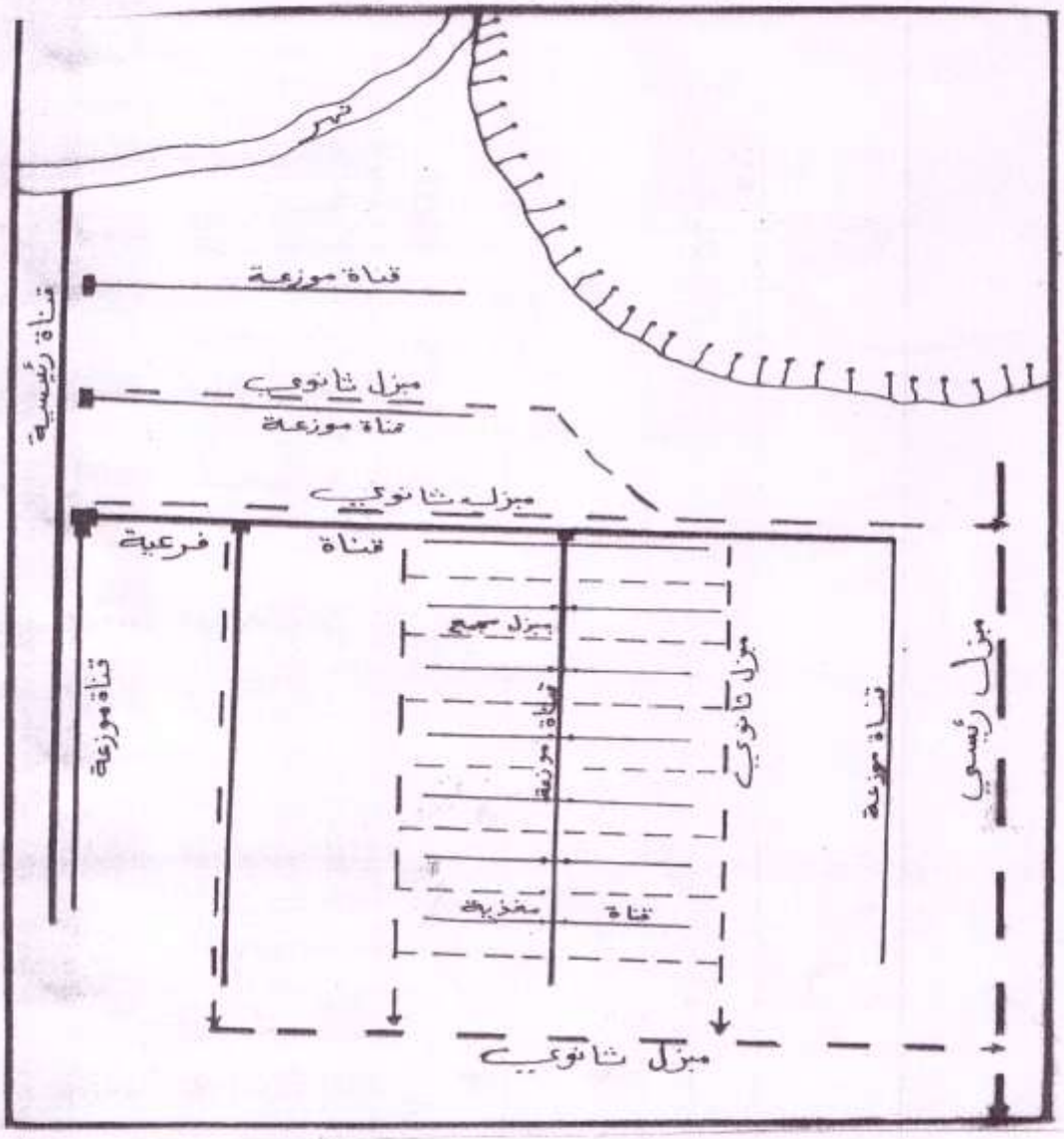

Republic of Iraq , Ministry of Irrigation, State organization For Land Reclamation General establishment For Design and Research ,1983 ,p.23 .

٢- مشاكل مالية :عادة ماتبرز معوقات ومشاكل ثانوية تحتاج الى اموال طائلة للتغلب عليها لذا ينبغي رصد الاموال الكافية لعمليات الاستصلاح .
٣- مشاكل اخرى :من ابرز المشاكل التي تواجه عمليات الاستصلاح ،عملية ترحيل الفلاحين المشمولة اراضيهم بالاستصلاح حيث يبقى هؤلاء الفلاحين بالقرب من اراضيهم قيد الاستصلاح .الامر الذي ينعكس سلبيا على عمليات الاستصلاح حيث ان حيواناتهم تعبث بقنوات الري والبزل ،كما يقومون بانشاء معابر للحيوانات من التراب الامر الذي يؤدي الى طمر القنوات وسدها .كما انهم يقومون بغمر بعض المساحات لتوفير المراعي لحيواناتهم ،الامر الذي يعرقل عملية الاستصلاح .

اثر عمليات الاستصلاح على التربة :

ان اسباب تدهور خصوبة التربة وانخفاض انتاجيتها كثيرة جدا ابرزها نقص الموارد المائية ،وانتشار التصحر ونقص العناصر المعدنية والعضوية وارتفاع نسبة الملوحة في التربة والتي تعد من اهم الاسباب وابرزها وهي بحق اهم مشاكل تدهور خصوبة التربة في العراق وهي مرتبطة بظروف وعوامل جغرافية مختلفة اهمها [1]:

١- الظروف المناخية .
٢- طبيعة السطح ومعدل انحداره .
٣- الجوانب الهايدرولوجية وخاصة المياه الجوفية ومستواها وعمقها وتركز الاملاح فيها .
٤- مياه الري وكميتها ونوعيتها .
٥- ظروف البزل الطبيعي .
٦- فعالية الانسان من ناحية طرق الري ،نوع المحاصيل التي يزرعها ،نوع الدورات الزراعية ومدى اعتمادها

لذا باتت عملية تقليل نسبة الملوحة في التربة اهم اهداف الاستصلاح في العراق وسوف يتم ذلك باعتماد وتنفيذ عمليات الاستصلاح ،فتتحسن الخواص الطبيعية والكيمياوية للتربة الامر الذي ينعكس ايجابيا على انتاجيتها وصلاحيتها لمختلف انواع المحاصيل الزراعية .فبعد اجراء عمليات الاستصلاح تنخفض نسبة الملوحة في التربة بشكل كبير جدا .يظهر من (الشكل رقم ٢) انخفاض نسبة الملوحة في مساحات واسعة من الشاخة IR [*] في المناطق المستصلحة من مشروع الدلمج .فبعد ان كانت اكثر من (٥٠ %) من اراضي الشاخة ترتفع فيها نسبة الملوحة الى اكثر من (١٦) ملميوز /سم ** وهي نسبة ملوحة مرتفعة جدا يتعذر زرع معظم المحاصيل الزراعية عدا المقاومة جدا جدا للملوحة (راجع جدول ١) ولكن بعد اجراء عمليات الغسل والتي تصل الى اكثر من (٥١%) من مجموع مساحة الشاخة IR .وان (٤) مليموز /سم هي نسبة ملوحة تساعد على نمو جميع انواع المحاصيل الزراعية تقريبا –راجع جدول (١) -.

شكل –٢- ملوحة التربة قبل الاستصلاح وبعده في مشروع الدلمج

١) د .احمد حيدر الزبيدي :ملوحة التربة ،مطابع التعليم العالي ،بغداد ١٩٨٩ ،ص ٤٧ –٦٠

*الشاخة : جدول مائي صغير يغذي مساحة صغيرة من الارض

** الملميوز هو وحدة قياس درجة الملوحة في التربة وذلك باستخدام قياس التوصيل لمستخلص العجينة الطينية المشبعة او أي مستخلص اخر على اعتبار ان هناك علاقة بين تركيز الاملاح الموجودة في محلول التربة أو مستخلصها مع قيم التوصيل الكهربائي لها انظر : بدر جاسم علاوي وخالد بدر حمادي ، مصدر سابق ص ٩٨ .

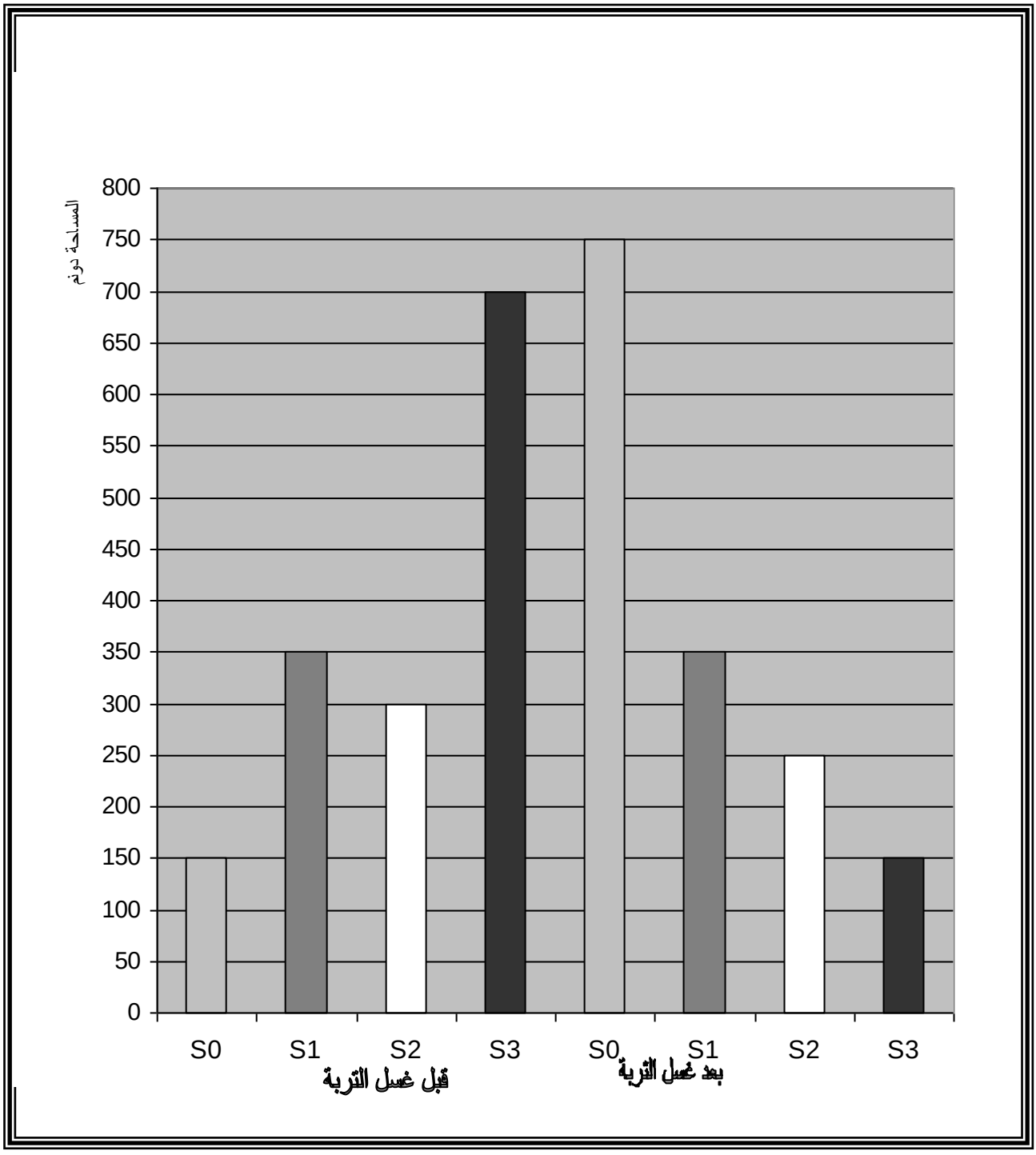

State organization for Soil and land reclamation ,Directorate of Soil investigation and land classsification to Dalmag Irrigation ministry ,1978 .

جدول (١) المقاومة النسبية للمحاصيل الزراعية للملوحة مرتبة على اساس انخفاض المقاومة ضمن المجموعة الواحدة

المحصول	مقاوم	متوسط المقاومة	حساس
التوصيل الكهربائي لراشح العجينة المشبعة مليموز /سم	(١٢ –١٨ ٩مليموز /سم	(٤٠٠٨) مليموز /سم	(١-٢)مليموز /سم
	الشعير البنجر السكري القطن	الشلغم ،الحنطة ،الشوفان ،الذرة الصفراء ،الذرة السكرية ،الفاصوليا ،الذرة البيضاء ،الرز ،الكتان ،عباد الشمس	المحاصيل البقولية

المصدر د.بدر جاسم علاوي ود.خالد بدر حمادي ،استصلاح الأراضي ،وزارة التعليم العلي والبحث العلمي ،جامعة الموصل ،بغداد، ١٩٨٧ ، ص ١٩.

المبحث الثاني

الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية والسياسية لاستصلاح الأراضي

توجد مجموعة اهداف اقتصادية واجتماعية واستيطانية تتوخاها عملية استصلاح الاراضي .وان تفاعل وتعدد اهداف الاستصلاح حقيقة لا يمكن انكارها لانها اهداف مترابطة ومتفاعلة .فعملية استصلاح الاراضي ناتجة من تفاعل ثلاثة عوامل اساسية هي :الارض والماء والعامل البشري[١] ففي الوقت الذي يستحوذ عاملا المياه والأرض على تفكير القائمين بعمليات الاستصلاح ،يجب ان لا يقل الاهتمام بالعنصر البشري في المناطق التي تجري فيها عمليات الاستصلاح ،وذلك من حيث الاهتمام بتوزيع السكان ونموهم وخدماتهم ....الخ .فالإنسان هدف واداة أي عملية تنموية والاهتمام به يجب ان يكون كبيرا فهو الذي يستثمر ويستخدم منشات وعناصر الاستصلاح المتمثلة بالارض والمياه والمضخات ،والمعابر والجسور ،والنواظم والمبازل وقنوات الري .... الخ .

ان الاهداف الاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية والسياسية لاستصلاح الاراضي متعددة ويمكن أجمالها ما يأتي :

١- الاهداف الاقتصادية : يعد الجانب الاقتصادي من اهم ما يشغل تفكير المسؤولين والافراد على حد سواء لذا حظي هذا الجانب باهتمام كبير من قبل الجهات المسؤولة عن الاراضي المستصلحة .حيث وجد الباحث ان إدارات المشاريع لا تهتم سوى بالجانب الاقتصادي المتضمن ماياتي :

أ. زيادة الانتاج الزراعي وذلك عن طريق رفع معدل غلة الدونم .

ب. استثمار الاراضي الزراعية المتروكة عن طريق استصلاحها وتوفير فرص عمل الاعداد كبيرة من ابناء الريف .

ج. زراعة المحاصيل الاقتصادية التي تعد منتجاتها مادة اولية في كثير من الصناعات او اعدادها للتصدير .

د. زراعة المحاصيل الاستراتيجية وخاصة الحبوب من اجل تقليل العجز الغذائي وتحقيق الامن الغذائي .

إن ما توخته عمليات الاستصلاح من أهداف اقتصادية تعد قفزة كبيرة بالنسبة للأهداف الأخرى .حيث يظهر وذلك جليا من خلال تحليل جدول (٢) ،ان معدلات غلة الدونم لجمع المحاصيل الزراعية ارتفع الى ضعف او اكثر من ضعف معدلات الغلة .في الأراضي غير المستصلحة .فبعد ان كان معدل غلة الدونم لمحصول الحنطة

[١]) د.عبد الوهاب مطر الداهري واخرون ،مصدر سابق ،ص ١٨٢

جدول (٢) معدل غلة الدونم لبعض المحاصيل في الاراضي المستصلحة وغير المستصلحة للمناطق المشمولة بالدراسة الميدانية للمدة (١٩٨٤-١٩٩٧) . كغم/دونم

المنطقة الجغرافية المشمولة بالمسح نوع الاراضي	مشروع الشحيمية قضاء الصويرة محافظة واسط		مشروع الثريمة قضاء عفك محافظة القادسية		مشروع الدلمج قضاء النعمانية محافظة واسط	
نوع المحصول	مستصلحة	غير مستصلحة	مستصلحة	غير مستصلحة	مستصلحة	غير مستصلحة
حنطة	٧٠٠	٢٥٠	٥٥٠	٢٠٠	٧٠٠	٢٠٠
شعير	٥٥٠	٣٠٠	٤٥٠	٢٠٠	٤٥٠	٢٥٠
ذرة صفراء	٨٠٠	٤٥٠	٥٥٠	٣٥٠	٩٠٠	٥٠٠
سمسم	٣٠٠	١٠٠	١٥٠	١٠٠	٣٠٠	١٥٠
ماش	٢٥٠	١٥٠	٢٠٠	١٥٠	٣٠٠	١٥٠
دخن	٢٥٠	١٠٠	٢٢٥	١٠٠	٢٥٠	-
رز	-	-	-	٧٠٠	١٠٠	-

المصدر :

الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على المصادر الاتية :

- دائرة مشروع الشحيمية :قسم التخطيط والمتابعة ،بيانات غير منشورة .
- فرع زراعةو وري محافظة القادسية :قسم التخطيط ،بيانات ،بيانات غير منشورة .
- دائرة مشروع الدلمج ، قسم التخطيط والمتابعة ،بيانات غير منشورة .

يتراوح بين (٢٠٠-٢٥٠)كغم /دونم اصبح معدل غلة الدونم للارض المستصلحة (٧٠٠)كغم /دونم في مشروع الثريمة في محافظة القادسية وكذلك بقية المحاصيل الزراعية المبينة في الجدول السابق . كما يتضح من الجدول المذكور ان محصول الدخن قد تضاعفت معدلات غلة الدونم الى مرة ونصف .

ومن الجدير بالذكر ان فوائد الاستصلاح الاقتصادية لا تنحصر في رفع معدلات غلة الدونم ،بل ان مساحات واسعة من الاراضي غير المستصلحة هي غير صالحة لزراعة كثير من المحاصيل القليلة المقاومة للملوحة المتوسطة منها والشديدة (كالخضراوات والبقوليات والدخن والسمسم والماش) [١]

ولكن بعد اجراء عمليات الاستصلاح تحولت الاراضي المستصلحة الى مناطق عامرة بمختلف المحاصيل الزراعية.

٢. الاهداف الاجتماعية :هناك حقيقة يتفق عليها معظم المهتمين بدراسة المجتمعات الريفية في الدول النامية ، هي تخلف هذه المجتمعات ثقافيا وعلمياً وخدمياً وحضارياً .لذلك نجد ان بعض الدول اخذت تفكر بشكل جدي في تطوير هذه المجتمعات التي تشكل اكثر من (٥٠ %) من مجموع سكانها بل تصل في بعضها الى (٨٥ %) من مجموع السكان الكلي .كما ان هذه الشريحة من السكان يؤدون دوراً مهماً في الاقتصاد والناتج القومي ،وفي توفير الغذاء لسكان بلدانهم .لذا اصبح ضروريا تطويرهم ومدهم بمختلف وسائل التحفيز والتقدم الفني في المجال الزراعي واذا كانت عمليات الاستصلاح هي جزءا من عملية الاصلاح الشامل لاوضاع المجتمع الريفي من جميع النواحي وذلك عن طريق توفير الخدمات المختلفة ومد طرق المواصلات في المناطق الريفية .وكذلك الاهتمام بجوانب التوعية والارشاد والتثقيف وتعليمهم سبل الزراعة الحديثة .

والعراق هو واحد من هذه البلدان التي يشكل سكان الريف فيه نسبة كبيرة ، اذ ما زال الاهتمام باوضاع الريف دون المستوى المطلوب ، اذ توضع الخطط الطموحة ولكن يتعذر تنفيذها لاسباب مختلفة .كما يحصل في المشاريع الزراعية الاستصلاحية التي تهمل جوانب العمران والخدمات الاساسية والاجتماعية الامر الذي ينعكس سلبيا على العملية الزراعية لان راحة الانسان وتوفير الخدمات اليه تزيد من عطائه وتعمق من ارتباطه بعمله ومن ثم رفع معدلات الانتاج الزراعي .

٣- الأهداف الاستيطانية :

عند مراجعة مراحل استصلاح الأراضي يتضح ان المرحلة الرابعة هي مرحلة التعمير والاسكان والخدمات ولكن الحقيقة وكما ورد سابقاً ان هذه الجوانب لا تاخذ بالعناية والاهتمام المطلوبين .فعند دراسة المشاريع المشمولة بالمسح الميداني في هذا البحث ،اتضح ان مشروع الثريمة لا يضم اية قرى مخططة في الوقت الحاضر .اما مشروع الشحيمية فقد شيدت فيه احدى عشر قرية بواسطة العمل

[١]) الدراسة الميدانية :مقابلات شخصية مع مسؤولي قسم التخطيط في المشاريع المشمولة بالدراسة .

الشعبي في بداية تاسيسه سنة (١٩٧١-١٩٧٢) وهي (قرى ١ ،٢ ، ٣، ٤ ،٥ ،٦ ، ٧، ٨ ،٩ ، ١٠ ،١١) وهي قرى مشيدة من الطين ومسقفة بالخشب والسعف[١]

وتتوفر في بعضها المدارس ولكنها تفتقر الى عموم الخدمات الاخرى .وبعد عدة سنوات ترك معظم الاهالي هذه القرى وهاجر بعضهم الى المدن المجاورة لهذه القرى .اما اسباب ترك هذه المستوطنات فابرزها :

- صغر الوحدات السكنية وقلة عدد الغرف وصغر مساحتها فهي لا تضم سوى غرفتين وحمام صغير ومطبخ صغير وهذا الواقع لا ينسجم وحجم العوائل الفلاحية الكبيرة وذلك لانها عوائل ممتدة او مركبة .
- الكبر النسبي لحجوم بعضها واحتشاد وحداتها السكنية وضيق شوارعها امر لا ينسجم مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي لسكان الريف .
- نقص او عدم وجود معظم الخدمات الاساسية كالكهرباء والماء الصالح للشرب والخدمات الصحية والطرق المعبدة .... الخ في معظمها.
- ضعف كفاءتها الانشائية فهي مشيدة بمادة الطين وفي المناطق ذات ترب ملحية تسمى (السبخات).
- انخفاض كفاءتها الوظيفية .فالوظيفة الرئيسة للفلاح وهي الزراعة ،وهذه المهنة تحتاج الى حظائر للحيوانات ومخازن للبذور والحبوب ،وهذه الوحدات لا تضم هذه المرافق الخدمية الاساسية . أن هذا الأمر ينطبق على مشروع الدلمج فالجانب الاستيطاني والخدمي لم يلق أي اهتمام فقط عند تاسيس المشروع حيث ثم انشاء سبع قرى مخططة ،ستة منها مماثلة للقرى التي بنيت في مشروع الشحيمية وهي ايضا بنيت سنة (١٩٧١ –١٩٧٢) وبواسطة حملات العمل الشعبي وهي قرى (اشبيلية ،قرطبة ،ام الخير ،انطاكية ،تهامة ،١ حزيران) .وان هذه القرى تحمل نفس مشاكلها تقريبا من حيث انخفاض كفاءتها الانشائية والوظيفية والخدمية ....الخ ،كما تم تشييد مستوطنة واحدة ذات مواصفات جيدة مقارنة مع المستوطنات السابقة وذلك في سنة ١٩٨١ وهي مستوطنة المغاربة العصرية ،ووحداتها السكنية مشيدة من الطابوق وتضم عددا كبيرا من الغرف وذات كفاءة انشائية عالية وتحتوي هذه القرية على مدرسة ابتدائية ومركز صحي ثانوي ومركز تنشئة ريفية ونادي ومخازن .فضلا عن وصول الطرق المعبدة اليها وكذلك جميع شوارعها معبدة ولكنها لا تخلو من العيوب التي من ابرزها ان مصمميها لم يراعوا الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لسكان الريف فهي محتشدة ايضا وهذا ما لا يرغب فيه سكان الريف وكذلك عدم احتواء وحداتها السكنية على الحضائر والمخازن . ومن الجدير بالذكر ايضا فعند مقابلة ادارة المشاريع الثلاثة المشمولة بالدراسة والاستفسار عن الجانب الاستيطاني يكون الجواب بعدم العلم عن هذا الجانب ،وهو ليس من مسؤولية ادارة المشروع حيث لا يوجد اي موظف يكون مسؤولا عن هذا الجانب . ان هذه الجوانب الاستيطانية والسكانية والعمرانية والخدمية تعد اساسية وتنعكس بشكل مباشر على عمليات واهداف الاستنصلاح ،لان اهمال هذه الجوانب الاساسية في حياة الإنسان يؤدي اما الى هجرتهم الى مناطق توفرها او البحث عنها في المناطق الحضرية المجاورة اليها .وهذا هدر في الجهود والاموال والوقت الذي ينفقه ابناء الريف من اجل الحصول على هذه الخدمات .فارسال الانباء الى المدارس المتوسطة والاعداديات في المناطق الحضرية المجاورة وبسبب ارتفاع اجور النقل يدفعهم ذلك الى ترك المدارس .وكذلك بعد المراكز الصحية عنهم تعرض حياتهم للخطر فضلا عن مصادر الخدمات الاخرى والمتمثلة بالسلع الغذائية والمواد المنزلية ....الخ ،هو عبْ كبير على عاتقهم المادي والمعنوي .الامر الذي يدفعهم الى الهجرة من الريف ،لذا فالامر يدفعنا الى الاهتمام بهذه الجوانب الأساسية والمهمة لانجاح عملية استصلاح الأراضي في العراق الذي يحقق رفع معدلات الانتاج وتوفير السلع الغذائية ومن ثم تحقيق التنمية الريفية المتكاملة التي تنشدها خطط التنمية

٤- الاهداف السياسية :

ان الاهداف السياسية هي اهداف شاملة فالنشاط الزراعي جزء من النشاطات الاقتصادية التي تهتم بها الدولة ضمن خططها الخمسية . وفي الحقيقة ان الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية هي اهداف سياسية تهدف الدولة إلى تحقيقها . ولكن تبقى مسألة تحقيق الاستقلال السياسي هي الدافع الاول للاهتمام بالزراعة التي تعزز هذا الاستقلال عن طريق تحقيق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي من الموارد والسلع الغذائية خاصة وان القوى الاستعمارية جعلت من الغذاء سلاحاً للضغط على الدول المتحررة من هيمنتها وما فرض على العراق من حصار شامل أكبر دليل على ذلك . كما ان تحقيق فائض بالانتاج وتصديره الى الخارج وتوفير العملة الصعبة وتشغيل الأيدي العاملة العاطلة في الزراعة وتطوير المناطق الريفية واسعاد ابناء الريف ، أهداف سياسية كبيرة تتواخاها الدولة بشتى السبل ولكن الى أي مدى تحققت هذه الاهداف هذا الامر تعرفنا عليه من خلال مناقشة أهداف الاستصلاح الاخرى ، فاذا كان هناك تطور ونجاح ملحوظين في الجوانب الاقتصادية لم يوازيها هذا النجاح في الجوانب الاجتماعية والاستيطانية والخدمية فانه ينبغي على الجهات المسؤولة ان تعيد النظر في مسألة الاهتمام بتلك الجوانب لأنها تخص الجانب البشري وتطويره . فالانسان هو هدف التنمية واداتها ، لذا ينبغي التركيز عليه واسعاده بشتى الوسائل . أن عملية بناء الإنسان المتحضر حتى في الريف هو النجاح الحقيقي والكبير . لأن هذا الامر ينعكس على المدينة بالذات ، فعندما يصبح الريف مركز استقطاب سكاني سوف يخف الضغط على المدينة ومن ثم تحقيق التطور والرفاه لابناء المدينة أيضاً . كما ان التعامل مع الانسان الواعي المتحضر أفضل بكثير من الناحية السياسية والاقتصادية ، فبوعيه الثقافي يستطيع ان يدرك كل التحديات التي تستهدف استقلال بلاده وعزتها . كما ان التعامل مع الانسان المتحضر يسهل عملية تنفيذ الخطط التنموية وخاصة الخطط الزراعية ، فالمتغيرات السياسية وتطوراتها السريعة تتطلب أحياناً التركيز على بعض المنتجات الزراعية (غذائية أو صناعية ...الخ) بحسب المرحلة وظروفها ، فعند توجيه الانسان الواعي ، تحقق اهدافك بسرعة كبيرة بعكس الحال

[١]) الدراسة الميدانية :مقابلات شخصية مع مسؤولي قسم التخطيط والمعاينة الميدانية للمشاريع المشمولة بالدراسة .

لو كان الانسان الريفي انساناً متخلفاً لا يدرك الظروف والاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة به ، فضلاً عن ادراكه لمصالح بلاده .

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

يمكن تلخيص النتائج الرئيسية لهذا البحث بما يأتي

١. ان عملية استصلاح الاراضي عملية كبيرة ومهمة جداً وتحتاج الى جهود فنية وادارية متخصصة استثنائية كما تحتاج الى اموال طائلة لتنفيذ مراحلها المختلفة .

٢. ان مراحل الاستصلاح مراحل عديدة ومترابطة ومتفاعلة لاينبغي اهمال بعضها مهما كانت الظروف لان ذلك ينعكس سلبياً على مجمل أعمال واهداف الاستصلاح .

٣. اتضح ان عمليات الاستصلاح واجهت مشاكل عديدة اهمها المشاكل المالية والفنية ومشاكل اخرى ميدانية تتمثل بصعوبة ترحيل وتوطين الفلاحين المشمولة اراضيهم بالاستصلاح

٤. اتضح ان عمليات الاستصلاح وخاصة بعد تكاملها تحسن بشكل كبير الخواص الكيميائية والطبيعية للتربة بحيث تصلح لزراعة جميع انواع المحاصيل الزراعية تقريباً التي تساعد الظروف المناخية على نموها .

٥. هناك أهداف كثيرة تتوخاها عمليات الاستصلاح منها اقتصادية واجتماعية واستيطانية وسياسية . وان ما يتحقق من هذه الأهداف دون الطموح عدا ما تحقق من الأهداف الاقتصادية الأخرى حيث ان معدلات غلة الدونم تطورت تطوراً كبيراً فعلى سبيل المثال ، بعد ان كانت معدلات غلة الدونم للمنطقة تتراوح بين (٢٠٠ - ٢٥٠) كغم/ دونم قبل الاستصلاح اصبحت بعده تتراوح بين (٥٥٠ - ٧٠٠) كغم / دونم .أما عما تم تحقيقه من الاهداف الاخرى فهو محدود جداً ، فالجوانب الخدمية والعمرانية والاستيطانية مهملة . فضلاً عن عدم وجود جهات ادارية ضمن ادارات المشاريع الزراعية مسؤولة عن هذه الجوانب المهمة .

٦. يستنتج ان هناك حقيقة لا غبار عليها وهي : ان عملية تنمية ريفية متكاملة بدون عمليات استصلاح تعد عاجزة عن تحقيق محتواها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لأن مشاكل الريف كثيرة ومعقدة ومترابطة وحل بعضها وترك الاخرى عملية مخطوءة ولا تحقق التنمية الشاملة والتي يمكن تحقيقها عن طريق الاصلاح الشامل لجميع المشاكل التي يعاني منها الريف والتي من ابرزها مشاكل الانتاج الزراعي ومشاكل الاستيطان والخدمات

التوصيـــات :

١. من اجل انجاز عمليات الاستصلاح وتحقيق الاهداف المرجوة منها ينبغي تهيئة الامكانيات المادية وغير المادية كافة وتتمثل الاخيرة باعداد الدراسات والبحوث التفصيلية عن الاوضاع الطبيعية والبشرية للمنطقة المراد استصلاحها ووضع الخطط التفصيلية والشاملة لجميع الجوانب الاقتصادية والاستيطانية .

٢.القيام بحملات التوعية والتثقيف والارشاد للسكان المستفيدين من المناطق المستصلحة وتوضيح دورهم في انجاح الاستصلاح وفوائده الاقتصادية والاجتماعية والسكانية . وتحديد دورهم في هذه التجربة الرائدة والتي تعد احد اهم اسس الزراعة الحديثة

٣. التوسع في عمليات استصلاح الاراضي لاهميتها في تحسين خواص التربة واثر ذلك على زيادة صلاحيتها لزراعة مختلف انواع المحاصيل الزراعية التي تسمح الظروف المناخية بنموها .

٤. ضرورة الاهتمام بالاهداف الاجنماعية والاستيطانية التي تتوخاها عمليات الاستصلاح فقد تبين عدم الاهتمام بهذه الجوانب المهمة في حياة سكان الريف فاعمال مشاريع الاسكان الريفي والمراكز الخدمية وعمليات توزيع المستوطنات الريفية وعدم توزيع مراكز الخدمات بشكل هرمي يخدم سكان المشاريع في الاراضي المستصلحة أمراً خطيرا ويتطلب الوقوف عنده ومعالجته بالشكل آلاتي :

أ. توزيع مراكز الاستيطان الريفي بشكل منتظم ينسجم وموارد المنطقة الطبيعية والاقتصادية .

ب. توزيع مراكز الخدمات بشكل هرمي ينسجم والحجم السكاني لكل مستوطنة وموقعها بين المستوطنات الاخرى

ج. الاهتمام بمشاريع الاستيطان الريفي ،بمعنى اخر تنفيذ ما جاء في المرحلة الرابعة من مراحل الاستصلاح المتعلقة بالإسكان والعمران والخدمات .حيث ينبغي بناء المستوطنات العصرية التي يراعى بها الوضع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي والديمغرافي والطبيعي للمنطقة المطلوب بناء المستوطنة فيها .

د. الاهتمام بالخدمات الاساسية وتوفيرها وجعلها احدى المرتكزات الاساسية لعملية الانتاج الزراعي لانها تؤدي الى استقرار ابناء الريف وتضاعف جهودهم في العمل الزراعي وبالتالي تحقيق الهدف الاقتصادي المرجو من استصلاح الاراضي .

هـ.الاهتمام بالتوعية والتعليم والتثقيف في الريف لان الاهداف السياسية المرجوة عن الاستصلاح تصبح سهلة التنفيذ اذا كان سكان الريف بالمستوى الثقافي المطلوب لادراك المتغيرات السياسية وماتطمح اليه السياسة الزراعية للقطر من اجل توفير المتطلبات الغذائية الاساسية وذلك عن طريق التركيز على بعض المحاصيل الاساسية التي تعتبر غذاء اساسيا للسكان .

و.ضرورة تعيين موظفين متخصصين في شؤون الاسكان والاستيطان والخدمات في المشاريع الزراعية وظيفتهم متابعة الجوانب الخدمية والاسكانية بحيث يحددون اتجاهات نمو المستوطنات ومستوى الخدمات فيها بما يضمن التطور الحضاري لسكان الريف لكي لاينعزلون عن الركب الحضاري للقطر .

المصادر

١- المصادر العربية

١- احمد حيدر الزبيدي :ملوحة التربة ،مطابع التعليم العالي بغداد ١٩٨٩ .
٢- بدر جاسم علاوي ،د.خالد بدر حمادي :استصلاح الاراضي ،وزارة التعليم العالي :جامعة الموصل ،١٩٨٧.
٣- د.عبد الوهاب مطر واخرون :تجارب استصلاح الاراضي الزراعية في الوطن العربي ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :معهد البحوث والداراسات العربية ،مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر ،الكويت ١٩٨٤
٤ – فاضل علي هلال ، مكافحة التصحر في العراق مشاكل التصحر والمعالجات ، الندوة العلمية حول مكافحة التصحر في العراق ، وزارة الري ووزارة الزراعة ، حزيران ، ١٩٩٦ .
٥ -دائرة مشروع الشحيمية :قسم التخطيط والمتابعة ،بيانات غير منشورة .
٦-دائرة مشروع الدلمج :قسم التخطيط والمتابعة ،بيانات غير منشورة .
٧- فرع زراعة وري القادسية :قسم التخطيط والمتابعة ،بيانات غير منشورة .

٢-المصادر الإنكليزية

-Repupbic of Iraq :Ministry of Irrigation state organization for land Reclamatian General Establishment For Deisgn and Research.1983.
-State organization For soil and land reclamation :Dinectarate of Soil investigation and land classification to Dalmag ,Irrigation ministry .1987.